الشعر السياسي العراقي في العهد العثماني

[من بداية حكم حسن باشا حتى نهاية حكم أحمد باشا]

أ.د. نبيل محمد سلمان

جامعة بغداد – كلية الآداب

يمكن القول أنه ليس ثمة عهد من العهود الادبية تعرض لظلم الباحثين واصابه الحيف والغموض مثل العهد العثماني. اذ نعت بالانحطاط والانحدار تارة وبـــ " الفترة المظلمة " تارة أخرى . واستحدث بعضهم مصطلح (الدول المتتابعة) [1] تحفظاً . والذي حملهم على اتخاذ مثل هذه النعوت هو رأيهم بالعصر العثماني الذي فسدت فيه – حسب قولهم – ملكة اللسان وجمدت القرائح ، وأصاب الشعر ماأصاب سائر الآداب العربية من هذا العصر من الضعف والانحطاط ، لما استولى من الجمود على القرائح ، وتوالى على الامة من الذل في تلك الفترة المظلمة ، وأصبح الكاتب أو الشاعر انما يهمه تنميق العبارة بالجناس والتورية والسجع " [2].

وفي ضوء هذا الوصف سرى اعتقاد راسخ في الاذهان مضمونه ان العصر العثماني لايستحق الدرس والبحث ، وانه خلو مما يصح أن يطلق عليه اسم الادب ، ولم ينجب من الشعراء من يستحق أسم الشاعر، ولا من الكتاب من تجوز نسبته الى الكتابة"[3].

غير ان بعض الباحثين وقف موقفاً مغايرا ازاء تقويمه العصر ، وحاول أن ينظر اليه نظرة جديدة تتسم بالموضوعية، والرصانة العلمية ، والاجتهاد الشخصي ، والابتعاد عن كل تأثر سابق ، أو حكم تالد ، أو نظرة سريعة ، أو هوى جارف ، كمحاولة الدكتور بكري شيخ أمين الذي اعتقد جازماً " ان هناك عملية خفية تهدف الى صرف الباحثين عن دراسة هذه الحقبة ، والاكتفاء بحكم سريع ظالم عليها ويقول :" ولسنا ندري لذلك سبباً ، اللهم الا ان يكون هذا العصر هو الذي قاوم جحافل الغرب التي استحكمت حيناً من الدهر من هذه البلاد ، ودفع الوثنية التي جاءت على سيوف التتار ورماحهم ، وملأ المكتبة العربية التي خوت بمصيبة بغداد وسواها بالتراث العربي والاسلامي المشرقين ، وأعاد

الى النفس العربية عزتها وثقتها ويكفي سبب واحد من هذه ليشحن قلوب الشعوبيين ،والاعداء المبغضين ، والمارقين والمنحلين حقداً ضد العصر وآله وكل ماكان فيه " [4] .
ويرى " ان مادفع بعض الباحثين الى وصم العصر كله بـــ"الانحطاط" ليس مرده الى مافي شعره ونثره من كثرة محسنات و زخرفات لفظية أو غير لفظية ، ولا الى قلة مافيها من معانٍ وفكر وماء ورواء ، وانما كان الدافع الى التسمية أبعد من ذلك بكثير"[5]. غير انه لم يصف أدب هذا العصر " بالحياة الخالصة والنشاط الجم والابداع الذي لاابداع بعده " وانما اراد "ان نكون منصفين عادلين ، نصف القوي بالقوة ، والضعيف بالضعف ، ويعطى كل ذي حقٍ حقه " [6] .

ويرى الدكتور شكري فيصل " ان هذه العصور لم تلق من اهتمام الباحثين في الحياة الادبية ولا المعنيين بالتاريخ لها ولا من الناظرين في أدبها مثل الذي لقيت عصور قبلها كالعصر الاسلامي والعصر العباسي ، أو عصور بعدها كالعصر الحديث . وأنصرف عنها الباحثون معجلين أو كالمعجلين .. وحين وقفوا عندها لم يطيلوا الوقوف أو هم على الاقل على حد ماقال الشاعر من غير حاجة الى التقيد بالشاهد– مروا بالديار ولكنهم لم يعوجوا – فظلت مجهولة لم يعرف الناس عنها الا أقل الذي يجب ان يعرفوا "[7] .
ويعلل الدكتور علي أحمد الزبيدي ظاهرة نعت العهد العثماني بالتخلف وافتقاره الى عناصر القوة والاصالة بالقول ان هذا العهد وقع " بين عهدين زاهرين فرضا احترامهما على الباحثين هما العصر العباسي والعصر الحديث فانزوى بينهما مشوها بعاهات التخلف ، مفتقراً الى عناصر القوة والاصالة عاجزاً عن مقارنة القديم والتوصل الى جديد ،مثقلاً بما أنزل بالحياة العربية من آفات طمست أكثر معالمها الفكرية والادبية وطمرت الكثير مما يجب أن يكشف، وان يدرس ويفسر لفهم حاضرنا ، واكمال حلقات تاريخنا وتشخيص العلل التي أعاقت نهضتنا وتقدمنا " [8] ثم يقول " وطبيعي أن الحكم العام على عصر من العصور الادبية لاينكر وجود حالات خاصة أو ظواهر أدبية أو فنية يمكن أن تستثنى لاتصافها بشيء من الاصالة أو التجديد أو محاولة الانفلات من الموجة السائدة " ولكنه يعد انحسار الادب العربي في هذا العهد وتراجعه وجدبه وجموده وعجزه عن التطور والتجديد ، بحكم الحقيقة التاريخية فيقول " ...فأن حماس المعنيين بالعصر المغولي أو العهد العثماني لايغير من الحقيقة التاريخية الادبية الكبيرة وهي أن الادب العربي كان في انحسار وتراجع وجدب وجمود وعجز عن التطور والتجديد وانه تخلف كثيراً عن

عصور الازدهار السابقة . وأن هذا الحكم ينطبق على العصور المتأخرة كلها أي على العهدين المغولي والعثماني "[9] .

ويخيّل اليَّ أن نعت العهد العثماني بالانحطاط والانحدار والجمود والعجز جاء نتيجة لمقارنته بعصور الازدهار الادبي والثقافي والفكري كالعصر العباسي والعصر الحديث الذي بات أمامهما ضعيفاً مجدباً ، وليس معنى هذا أن العهد العثماني كان خالياً من كل مايمت بالجودة والابداع والخيال بصلة ، ومنقطع الجذور عن الجدة والاصالة برمته ، بل حمل الينا هذا العهد نصوصاً غير قليلة من الشعر الذي ينم عن ملكة لغوية وسعة خيال وثقافة عامة لاتتناسب والاحكام القاسية التي أطلقت عليه .

وأغراض الشعر العراقي في العهد العثماني من بداية حكم حسن باشا في 1704م* حتى نهاية حكم أحمد باشا في 1747 **م هي : الشعر السياسي ، والشعر الديني والغزل والتاريخ الشعري والالغاز والاحاجي .

وسنتناول في بحثنا هذا الشعر السياسي العراقي في هذه الحقبة ونرجىء الكلام على الاغراض الاخرى الى بحوث لاحقة ان شاء الله تعالى.

السياسة في معناها اللغوي وكما وردت في المعاجم هي تدبير شوؤن الناس ، وتعلم امورهم ، والرياسة عليهم ونفاذ الامر فيهم [10] . أما معناها الاصطلاحي ففيه اختلاف بين الباحثين القدامى [11] والمحدثين .

والسياسة عند المحدثين حكم الامم ، أو فن هذا الحكم ، وهي داخلية وخارجية ، والسياسة الداخلية تقوم على النظم والاشكال التي تخضع لها الحكومات كل في داخلها ، والسياسة الخارجية التي تقوم على النظم والالتزامات التي تربط الدول كلا بالاخرى [12] .

هذا عن " السياسة " أما الشعر السياسي ، فهو الشعر الذي يتصل بنظام الدولة الداخلي أو بنفوذها الخارجي ومكانتها بين الدول [13] سلباً أو ايجاباً ، وليس معنى هذا أن يكون الشعر السياسي بالضرورة ناشئاً عن عقيدة يؤمن بها الشاعر ويشايعها ، بل قد يكون التزلف للنظام أو الخوف منه أو الطمع في منصب أو مال ، سبباً وراء ذلك ، وليس من الضروري " أن يعبر عن رأي يقره المجتمع فقد يكون الرأي خاصاً بالشاعر أو بفئة قليلة ممن تنتظم تلك الدولة ، كذلك ليس من الضروري في الشعر السياسي ان يلتزم البراهين والتفاصيل بل يكفيه ان يلمح ويوجز ويترك التفاصيل والجزئيات للتاريخ وللناس لانه وليد العاطفة والخيال " [14].

وفي ضوء ذلك ، يكون ظهور الشعر السياسي في الادب العربي منذ العصر الجاهلي ، فقد كانت القبيلة العربية تعد الصورة المصغرة للدولة [15] وكان الشعر القبيلي في الجاهلية شعراً سياسياً فهو شديد الارتباط بمقومات القبيلة حين يفتخر الشاعر بها أمام القبائل ويذكر مآثرها وعلو منزلتها ، ويمدح رجالها ويهجو أعداءها ، ويرثي موتاها ، ويثور عليها ان هي قصرت في واجبها كالتقصير في حماية رجالها والانتصار له .

وقد تستدعي الحاجة الى خروج الشاعر على قبيلته ويثور على نظامها الاقتصادي والاجتماعي ويأخذ بالاغارة والنهب وسلب القبائل والافراد ويوزعها على الفقراء كما هو الحال عند الشعراء الصعاليك .

وحين قامت الدولة الاسلامية التي قوضت حكم القبائل ووحدت كلمتهم تحت راية الاسلام ، تطور هذا النوع من الشعر ، واتضحت اتجاهاته ، وعظم دوره في نشر الدعوة الاسلامية وترسيخ مبادئها وقيمها السامية .

وظل الشعر السياسي ينمو حتى ازدهر في العصر الاموي بسبب نشوء الاحزاب السياسية وتعددها ، وقيام الصراع بينها من جهة وعودة التنازعات القبائلية الى ما كانت عليه في الجاهلية من جهة أخرى ، ووجد الشعراء في هذين العاملين المرتبطين بحياتهم مادة غزيرة في قولهم الشعر مشايعة لحزب يناصرونه أو لقبيلة ينتمون اليها .

وما ان قامت الدولة العباسية ، حتى طرأت تغيرات جديدة في الحياة السياسية وكان من أبرزها ظهور النفوذ الاجنبي في كيان الدولة . فالعنصر الفارسي الذي كان يسعى الى بعث أمجاده الغابرة ، صار نشيطاً حتى شكل خطراً على الدولة ، ثم جاءت عناصر أخرى لم يكن أثرها في الحكم أقل شأناً من الفرس ، كالاتراك والبويهيين والسلاجقة .

وأصبح الحكم العباسي بتأثير أنظمة الحكم الاجنبية ، ولاسيما نظام الحكم الفارسي القديم ، حكماً استبدادياً مطلقاً يستند الى نظرية الحق الإلهي في الحكم [16] . وانقسمت الاحزاب السياسية الى قسمين : حزب مؤيد لسياسة بني العباس وهو الغالب ، وحزب مناوئ يمثله العلويون الثائرون لنصرة الحق والعدالة .

فكان على الشعر السياسي ان يصطبغ بصبغة الحياة السياسية الجديدة ، وتقف القصيدة السياسية اما مؤيدة ، واما مناوئة .

واستمر الشعر السياسي على وفق هذا الاتجاه يؤيد ويناوىء " ولكنه في أواخر العصر العباسي حتى نهاية القرن التاسع عشر قد استمال معظمه الى مدح وتأييد للحكم أيا كان ذلك الحكم وفي أي قطر من الاقطار العربية " [17] .

وكان الشعر السياسي العراقي في العهد العثماني من بداية حكم حسن باشا حتى نهاية أحمد باشا، وهو موضوع بحثنا ، منصباً في مدح الولاة والحكام وما يتصل بهما ، بعد أن ضاعت المعايير الخلقية للشاعر ، الاماندر فهو يبالغ في مدح الوالي الاجنبي الجائر ،فيصفه كالشمس ضياء ، وكالبحر جوداً وكرماً ، وان البلاد شرفت به وتراقصت فرحاً لمقدمه ، فهو المنقذ الاوحد وحامل راية العدل والمساواة ، وغيرها من النعوت التي لاتمت الى الحقيقة بصلة وتصل حد إذلال الشاعر لنفسه واحتقاره لها .

ولما كان الدين الاسلامي الوشيجة الاولى بين الوالي العثماني والشاعر، فأن الشاعر كان يخلع عليه نعوتاً تصبغه بالصبغة الاسلامية كالايمان والتقى وحامل لواء الدين ، وحامي بيضة الاسلام ومحي رسالته. .

والشاعر يفعل ذلك ليس شعوراً منه بمصلحة البلاد وتحسساً بهموم شعبه ومشاعره، إنما الذي يريده ويبغيه هو أن يعيش بمال الممدوح والظفر بمنزلة تقربه من السلطة . وعلى الرغم من ان الشعراء كانوا يمدحون لا عن مذهب ولا عقيدة ، وانما يمدحون بدافع التزلف والكسب المادي فأن قريضهم هذا يعد شعراً سياسياً ، مادام له تأثير مباشر أو غير مباشر، في تقوية الحاكم وتثبيت حكمه ، وآثر قسم آخر من الشعراء اللجوء الى الدين هرباً من الواقع الفاسد ، وترفعاً عن المديح غير الاخلاقي السائد ، فقد وجدوا فيه المثل الانسانية والاخلاقية السامية والقيم الروحية النبيلة ، والنقاء الوجداني الخالص ، وكلها مبادىء عليا كانوا يبحثون عنها داخل المجتمع دون جدوى ، وصارت ثورة الحسين عليه السلام، مثلاً ، ليست مجرد ثورة ضد حكم فاسد مستبد انتهت بمأساة فحسب ، بل أضحت رمزاً للثورة ضد الحكم العثماني الاجنبي الجائر ، وحافزاً قوياً للمطالبة بالحرية واستلهام القيم الاسلامية والعربية العليا . ونحا شعر الشكوى في بعضه منحى سياسياً ، فهو يشكو من الزمان وصروف الدهر ومكائد الحياة ، التي لايمكن أن تفسر الا على أساس نقمة الشاعر على الواقع الاجتماعي ورفضه له ،وهو دون ريب انعكاس للواقع السياسي ، وهذا الاتجاه لايمثل تياراً واضح المعالم في شعر هذة الحقبة. وأضطر قسم من الشعراء الى ترك بلادهم والنزوح الى الاقطار المجاورة بسبب الاوضاع الاجتماعية والسياسية

السيئة التي كانت نتيجة لتعسف السيطرة العثمانية واضطهادها ، غير انهم كانوا وثيقي الصلة بوطنهم عبر قصائد الشوق والحنين الى الوطن . وشهد هذا العصر ، صراعاً حاداً بين الدولتين الصفوية الايرانية والعثمانية وكانت الحروب سجالاً بين الطرفين ولعل حملات نادر شاه لاحتلال العراق وحصاره لمدنه الكبرى كبغداد والموصل والبصرة تقف في مقدمة هذه الحروب .

وكان على أثر ذلك أن ظهر إتجاه آخر في الشعر السياسي خلال هذه الحقبة تمثل بتسجيل وقائع هذه الحروب وعرض أحداثها بالتفصيل ، متخذاً من الارجوزة مادة لبنائه الفني .

فالشعر السياسي في هذه الحقبة يتمثل في اربعة اتجاهات هي : مدح الولاة ، والشكوى من الحياة ، والحنين الى الوطن ، وشعر الوقائع الحربية .

مدح الولاة :

لعل أبرز مايلفت نظر الباحث وهو يتناول الشعر الذي قيل في مدح الولاة وذكر حروبهم وحوادثهم ومناسباتهم في العهد العثماني هو كثرة هذا الشعر الى حد لايمكن استيعابه في دراسة لاتعرض الا النواحي المهمة التي يمكن ان تكشف عن اتجاهاته ومضامينه .

إن جهل ولاة الاتراك الذين كانوا يرسلون الى العراق والذين كانوا لايفهمون من المعايير الادبية شيئاً ولا من المثل العليا الا التغني بالسطوة والقوة ، فضلاً عن ، استعمالهم اللغة التركية في حياتهم وجهلهم اللغة العربية ، كان سبباً وراء نظم قصائد ليس فيها الا الوزن والقافية ، خالية من الجودة وقوة الاداء وجمال المعنى ووضوح الشخصية لان الشاعر يعرف سلفاً ان السامعين لايعيرون البلاغة أهمية كبرى [18] قدر ما يعيرون المبالغات التي تخرج عن حد المعقول .

ولم يكن المديح نابعاً من قرارة نفس المادح بل كان جلّه وسيلة للتزلف للممدوح لعله يصل به الى منزلة مرموقة تقربه من السلطة ، وتغدق عليه العطايا والهبات ، لذلك لم يتورع الشاعر من ان يزجي صفات لاتمت الى واقع الحال بصلة فيغدو الوالي الاجنبي أكثر الناس خلقاً وخلقه ، ويسمو على العرب وتنتعش به الآمال وينسى الذل والاستكانة ، كما فعل الشاعر حسن عبد الباقي الموصلي [19] مخاطباً والي بغداد أحمد باشا :

ياأحَمْدَ الخلق في خَلْــقٍ وفــي خُلُــقٍ وَمَنْ سما التركَ والاعجامَ والعربا

ياخير مــن أغــرقَ البيــداءَ نائــل ة وفتكه أحرَق التيار فالتهبا
يامنتهى الخُلُق المحمــودةِ انتعشــت آمالنا ونسينا الذلَ والنصبا [20]

واذا ماتراجعت الملوك الى الوراء ، كان هو المعّول عليه ، ويعلو عليهم همة وتفضلا ، وتصبح " نعلاه " أكليلاً على هامة العلا ، كما يقول الشاعر نفسه في قصيدة أخرى يمتدح الوالي ذاته :

وزيــر إذا ضــاق الخنــاق تــأخرت ملوك الــورى طّــراً وكــان المعــولا
تكلــف يــدر الشــم فــوق اقتــداره أراد يضـــــاهي خلقَـــــه فـــــتهللا
ألســت تــراه دائــراً فهــو حــائرٌ لقــد مــلَّ حتــى لــم يــزل متــنقلا
تنغّص عيشــاً بــل تــنقص رتبــةً واحمـــد يعلـــو همـــةً وتفضـــلا
تَشَــرَّق فــرق الفرقــدين بوطئــه ونعلاه أكليــلٌ علــى هامــة العــلا[20]

ولو استعرضنا المعاني الرئيسة في هذا الغرض الشعري ، لوجدنا انفسنا امام معان مكررة ومتداولة ومعروفة، وصور خالية من الجدة والابتكار ، فجاءت القصيدة برمتها مفعمة بالركة ، متقلة بالضعف ، خالية من نسغ الحياة المتصاعد ، وما كان أسهل القول على الشاعر ليريق أكبر النعوت ،وأبهى المزايا ، وأعظم الشمائل ، وأضخم الاسماء ، واروع الالقاب على الممدوح مهما كان جنسه [21] .

فنرى الشاعر يسترسل في خلعه النعوت على الممدوح ، فهو البحر يكون مذاقه اجاجا في الحرب ، وعسلاً في السلم ، وهو المؤمن العابد المتجبر على القوم البغاة ، وهو أوفى من السموأل حتى أصبحت الاعراض ودائع لديه :

هو البحر حين الحرب تلقــى مذاقــه أجاجــاً وحــين السّــلم راحــاً معســلاً
تَجَبَّرَ أن قــوم يشــمت واذا صــفت وذلـــت تـــراه العابـــد المتبـــتلا
هنــاك تــرى بــين البنــان قناتــه يراعــا وافنــى مــن اشــاء وأمهــلا
وسيان في تذليل صــعب مــن العــدا يراســل قومــاً أو يجهــز جحفــلا
فــلا ســؤودٌ الا وفعــلاه تاجــه ولا شـــامخٌ الا ويرنـــوه اســـفلا
وحاشا ابــن ســابور ولــيس بعــادل اذا كـــان بالاحيـــاء ان يتفضـــلا
حفظنا به الاعــراض وهــي ودائــع لديه ويســمو بالوفــاء الســموألا [22]

ولما كان الدين الاسلامي الوشيجة الاولى بين الوالي الاجنبي والشاعر ، فأن الشاعر كان يخلع عليه نعوتاً تصبغه بالصبغة الاسلامية كالايمان والتقى ، بل يذهب الى أبعد من ذلك ويجعله بمنزلة الرسول الكريم محمد ﷺ ، بينما يجعل نفسه هو بمنزلة كعب بن زهير كيما يتشرف بالبردة جراء مديحه :

وكعب زهير أم عفوَ محمد ... بنظم مديح لائذاً متذللا
فشرف بعد العفو بالبردة التي ... تسامى بها بين الورى وتجملا
وأحمد مولى لم يزل متخلقاً ... بأحمد فأهجر ماسواه من الملا[23]

وسواءٌ اكان المديح نابعاً من قرارة نفس المادح ، أم كان تقرباً أم زلفى الى الولاة ، فهو أقرار من الشاعر بزعامتهم وولايتهم ، ودعوة لتقوية الحاكم وتثبيت حكمه .

لقد حفلت النصوص الشعرية بما يدعو الى ترسيخ هذا الاتجاه وتعميقه ، فأصبح الوالي العثماني على حسب دعوة الشاعر –روح العصر، ولاشك ان في ذلك سراً من الله، كيف لا وهو صائن العرض والدم والدين والدنيا، كما يقول يحيى بن مراد العمرى[24] مادحاً أحمد باشا :

سعدتم بما نلتم وحققكم البشر ... وحيث اتجهتم مَعْكُمُ الفتح والنصر
فأنتم لهذا العصر روحٌ وراحة ... ولاشك ان الله فيكم له سرُ
فكيف وأنتم صنتم العرض والدما ... كذا الدين والدنيا وهذا هو الفخرُ
وبشراكم هذا الجهاد فأنه ... صدى الدهر يتلى أسمكم فيه والذكر
وناهيك في هذا العزاء فضيلة ... به نلت فخراً باذخاً ولك الآجرُ
فأسمكم حرزٌ لكل ملمة ... كما أن يمناكم هي الوبل والقطرُ

وينحدر الشاعر انحداراً خلقياً عندما يفقد المعايير الاجتماعية والوطنية ، ويقف الى جانب الحاكم الجائر المستبد ، ضد أخوانه العراقيين الثائرين بوجه الحكم العثماني ، ويشد على أزر الحاكم عندما يستخدم القوة لكبح جماح الثورات التي تعلن بين الفينة والاخرى :

ألم تعلم الاعرابُ [25] وقع سيوفِكم ... وفي كل قفر موحش لهم قبرُ
فمنتفق لما بدت نفقاتهم ... وفرقتهم في البيد صرعى لهم عقرُ
وشمّر لما شمروا الساق في الوغى ... غدوا ككلاب حين يلحقها ذعرُ

وأمـــا بنـــو لام فكـــلٌ يلـــومهم ... لمـــا نـــابهم قتـــل وحـــاط بهـــم أمـــرُ
فمـــا بـــالهم لاأنعـــش الله حـــالهم ... لقد عميت أبصـــارهم أم وهـــن الفِكـــر
بعَـــزمِ ســـليمان [26] وشـــدةِ بأسِـــه ... وقـــد نفـــروا كلمـــى كـــأنهم حمـــرُ الا
هكـــذا مـــن قـــاد جيشـــاً عَرمَرمـــاً ... له الروس نقـــل والـــدماء لـــه خمـــرُ
وتبصره في الحرب ان قـــام ســـوقها ... يصـــول بهـــدى بـــه البعـــث والنشَّـــرُ

ويتخذ من الدين مبرراً لما يقوم به من أعمال :

هَزَبرٌ أراد اللهُ نصرةَ دينهِ ... فصدره فأستَدَّ في أمره الامر

وبعد كل هذه الاعمال القمعية والوحشية التي قام بها الوالي ضد الثوار العراقيين، فأن الشاعر لايجد حرجاً من ان يسبغ عليه نعوتاً حميدة لامسوغ لها سوى التزلف ، والمراء ، والافتراء على الحقائق ، فهو بصير ، وحليم ، وعظيم ، والمعي ، ولوذعي ، وأخو حجى ، وهو الحافظ ، الحاوى ، والعالم الحبر :

وما ذاك الاســـرب أحمـــد مـــن غـــدا ... وزيـــراً لـــه فـــي كـــل وازرة وزر
بصير لـــه فـــي كـــل أمـــر بصـــائر ... بألســـنة الاعـــداء يتلـــى لـــه الشـــكر
حلـــيم ولكـــن فـــي المهابـــة ضـــيغم ... عظـــيم ولكـــن لا يداخلـــه كبـــر
هو الا لمعي اللوذعي أخـــو الحجـــى ... هو الحافظ الحاوى هو العـــالم الحبـــر
همـــام تناجينـــا مخايـــل عزمـــه ... بـــأن اليـــه يرجـــع النهـــي والامـــر
وان علـــى أعتابـــه تقصـــر العلـــى ... وان الـــى ارائـــه ينتهـــي الفخـــر

فلا غرو ان يهنىء الشاعر بغداد التي عرفت بواليها ، واضحت حماها منيعة بفضله ومجده:

هنيئـــاً لبغـــداد لقـــد شَـــرفت بـــه ... ولم لا ومن علياء قد شرفَ الدهر
منعت حمى الزوراء مـــن كـــل مـــارد ... غدا دأبه الاضرار والنهك والشر
فلا زلت في ســـعد ومجـــد وســـؤود ... وعز واقبال يمد له العمر
ولا زلت في عليـــاك تظفـــر بـــالمنى ... لك الله عوناً حيث يرتفع القدر [27]

ويأتي شاعر آخر ، هو عبد الله الفخرى ليجسدالاتجاه ذاته في مناصرته الوالي احمد باشا وهو يتصدى بعنف وقوة للعشائر العراقية الثائرة ، مزجياً عليه الصفات التي أزجاها

الشاعر السابق ، ومكبراً فيه هذا المسلك الذي قاده على حسب تعبيره – نحو المعالي ، فيقول :

نعم هكـذا نيـل المعـاني وكسـبها ... فـأن المعـالي لاتبـاع بـدرهمِ
قطعـت الـيهم كـل بهمـاء قفـرة ... وجئـت فـلاة بالمعاطـب ترتمـي
فلاة يـذيب الصـخرَ وقـدُ هجيرهـا ... وحربـه نـار الغضـا فـي تضـرم
بـرار بهـا آل يمـوج تلامسـا ... يحار بهـا السـارى كبحـر غطمطـم
حرور كنار الوجد يعلـو اضـطرامها ... كقلـب محـبٍ مسـتهامٍ متـيم
فصـبحتهم كـالموت ينـزل خافيـاً ... فظلوا حيارى بـين نصـل ولهـذم[28]
وشاموا بروقاً من سـيوفك أمطـرت ... سيول المنايا مـن رواعـد مِخـذَمِ[29]
عقاب الوغى لما أتى طـار صـقرهم ... الـى حيـث ألقـت رحلهـا أم قشـعمِ
فخلوا لـك الامـوال فـي كـل تالـد ... ومكتسـب مـن كـل شـاء ومنسـم
تركتهمـو رهـن الهـوان بقـائهم ... شديد الشوى في شـر عـيشٍ مُسَّـحم
ولم تتركن شيئاً لهـم غيـر أنفـسٍ ... تسـيل علـى آمـاقهم مثـل عنـدم
أتيـت بمـا يـولي السـميع تعجبـا ... ويـدهش عقـل الفـارس المتقـدم
فلا زلـت منصـور اللـواء مظفـراً ... تدين لـك الـدنيا بعـرب وأعجـم[30]

وكان لحسين باشا الجليلي والي الموصل نصيب كبير من مديح الشعراء . اذ لم ينل والٍ من ولاة العراق في العهد العثماني نصيباً من مديح الشعراء والتغني بأمجاده ومفاخره كالذي ناله هذا الوالي.فقد حظي بالقسط الاعظم من الشعر الذي قيل في تلك الحقبة في مدح الولاة . ويعود سبب ذلك الى مواقفه البطولية في حصار نادر شاه للموصل ، وبلائه الحسن في الذود عن حياض مدينته ، حتى أصبح التغني ببطولاته بمثابة التغني ببطولات أبناء المدينة أنفسهم، فقد غدا لهم الرمز البطولي الشامخ والبطل القومي الذي لايلين ، فضلا عن ذلك فأن الوالي حسين باشا يحتل منزلة طيبة في نفوس الشعراء بسبب أعماله الجليلة ، ومآثره في خدمة العامة ، وتشجيعه العلماء والادباء ، ولكونه من أسرة عراقية خلافاً لما هو سائد في الحكم العثماني المتمثل بتعيين ولاة عثمانيين .

وقد عبر عن ذلك الشاعر عبد الله الفخرى ، بقوله وهو يمدح هذا الوالي :

أبا حسن ياذا المحاسن والنَّدى ... ويامن له فخر على من له فخر
عقلت بعيري في ذرى فضلك الذي ... به تسحق الانضاء بل يهلك العسر
ولا أبتغي في ذاك الا مفاخراً ... اذا لم بكن عز فلا وفر الوفرُ
وما ضر في ان كنت فاقد ثروة ... اذا كان ماقد حزته المجد والذكر
وإنا من العرب الكرام أولي العلى ... وفينا الهدى والمجد والعلم والشعر
وماضم حب المال قط صدورنا ... فأموالنا عبد وأعراضنا حر
أبى المجد الا أن نعيش بعزةٍ ... اذا لم يكن عزٌ فمختارنا القبر
وانا لفينا نخوة عربية ... وانا لنا جد به ينتهي الفخر[31]

ويقف الشاعر حسن عبد الباقي الموصلي في مقدمة الشعراء الذين مدحوا هذا الوالي ، وجاءت جل القصائد التي احتواها ديوانه في مدحه . وقد أزجى عليه ذات الصفات والتشبيهات والمعاني المكرورة التي الفناها عند الشعراء في مدحهم لوالي بغداد أحمد باشا ، اذ لامانع عند الشاعر من ان يعيد ماقاله في ممدوح امام ممدوح آخر يختلف عن الاول الاختلاف كله أو بعضه ومهما كان جنسه .

وفي قصيدة بعث بها حسن عبد الباقي للوالي حسين باشا يمدحه فيها ويعتذر عما بدر منه ،مطلعها:

لا تذكر اللهو بعد اليوم والطربا ... ولا تصف كف ساقٍ بالطلا اختضبا

اطراء – بعد مقدمة غزلية – اطراء حسناً ، مبيناً خصاله الحميدة ،وصفاته النبيلة ، فهو في وفائه أوفى من السموأل ، وفي حسبه اعلى من جديمة ، وفي آرائه أرجح من قيس ، وفي اقدامه وبأسه أشد من عمرو ، وفي كرمه أعظم من حاتم ، وفي بلاغته أبلغ من سحبان ، وفي ذكائه أذكى من اياس فيقول :

فما السموأل أوفى من أبي حسن [32] **... ولا جدَيمة أعلى منهما حسبا** [33]
لو قيس قيس على آرائه رجحت ... أو أن عمروا رأى أقدامه ارتعبا
وحاتم ثم معن مع أبي دلف ... وآل برمك لو كانوا رأوا عجبا
فهم وما ملكت طرا وما بذلت ... يمينهم بعض مأأفنى [34]**وما وهبا**
فما بلاغة سحبان فلو سمعت ... اذناه أبلغ من في العرب ماخطبا
وما ذكاء اياس لاتصفه وصف ... أبا مراد [35] **فقد فاق الورى رتبا**

والقصيدة – كما ذكرنا – في الاعتذار ، فالشاعر من المقربين الى الوالي ، ثم ظهر منه ما أوجب غضبه ، قيل لكثرة شربه الخمر ، وقيل غير ذلك [36] ، فهرب من الموصل الى بغداد ، وبعث اليه من بغداد بعدة قصائد يعتذر له فيها ، ويطلب منه الصفح الجميل ، وهذه القصيدة واحدة تلك القصائد . يقول في باب الاعتذار :

أبا مراد لقد ضاق الخناق ولم نعهد سوى الحلم من ابائك النجبا
وحلت بيني وبين الشائبين وقد طال اغترابي ونوحي ازعج الغربا

ويعلن الشاعر توبته عن تناول الخمر الذي كان ، على الارجح ، السبب وراء غضب الوالي عليه، فبعد ولعه الشديد بشرب الخمر أصبح يكره العنب لفرط زهده ، وصرف ايامه كلها للعبادة والتقوى، فيقول:

من الحزن اني لم أزل ورعا وان لاحق انسي بالحظوظ كبا
وبعد نومي بباب الحان من ولعي أصبحت من فرط زهدي أكره العنبا
وكم تباشر رهبان وقيل لهم لزهد مال الذي تخشونه وصبا
الحمد لله أيامي غدت جمعا وكل شهر ليال القدر أو رجبا
يمر ليلي وأقدامي تعاتبني من القيام وقلبي يرفض العتبا

الى ان يقول :

أستغفر الله مما قدمته يدي من الذنوب وما قد كنت مكتسبا
مالي اليك شفيعٌ غير عفوك عن ذنب الي بتزوير العدا نسبا[37]

والملاحظ ان الشاعر مدح الوالي حسين باشا بذات الالفاظ والمعاني والصور التي مدح بها الوالي أحمد باشا .

ويبدو لي أن الفرق الوحيد في مدحيهما ، هو ان الشاعر كان صادق العاطفة في مدحه لوالي الموصل حسين باشا بحكم كونه عراقياً وذا منزلة طيبة في نفوس الاهالي ، فضلاً عن ذلك ان الشاعر حسن عبد الباقي كان من المقربين لدى حسين باشا ، بينما كان التزلف والمحاباة وراء مدحه للوالي احمد باشا. وفي ديوانه اكثر من قصيدة غرضها الاعتذار والاستعطاف لوالي الموصل [38] .

وكان لدور الوالي في ثبات الموصليين امام هجوم نادر شاه وأستبسالهم في الدفاع عن حياض مدينتهم أثر واضح في شعر هذه الحقبة ، فقد تسابق الشعراء في مدحه والاشادة بشجاعته ومآثره البطولية حتى أصبح ملاذهم حين تتعاظم الخطب وتدنو

الاخطار . وفي هذا يقول الشاعر حسن عبد الباقي في قصيدة له مادحاً الوالي حسين باشا بعد الانتصار الذي حققه على القوات الايرانية الغازية :

مليك يهاب النجم سطوة بأســـــه ... متى لاح بدر التم بالافق يسجد [39]
اذا جار مجرى الفلك كانت سَباسِباً[40] **... وان صال فالابحار أقفر فَدفَدِ** [41]
ورهط من الاعجام بين مـــــدرَع ... على لاحق وافى وبين مـــــزرد
فجاؤا صفوفاً والقنا يقرع القنـــا ... كغيمٍ كثيفٍ أو بناء مشيـــــــد
فثمنت السبع الطباق سرادقـــــاً ... بناها قتام الخيلِ من غير أعمد[42]
ولما دجى ليل الخطوب وقد بدت ... بدور صدور من غلائل خُرَّد[43]
ومزقن امراطاً وسِجفَ هوادجٍ [44] **... وأصداغَ خدٍ كالحرير مَـــــورَّدِ**
ونادت بناتُ الحي أين رعاتنا ... وأين الفتى المنعوت في كل مشهد
أبا حسن ضاق الخناق ولم نجد ... سواك ملاذا خير ذخـــر ومنجـــد

ثم يصف الشاعر مسيرة الوالي لملاقاة عدوه ، فيشبهه بالبدر تحفه النجوم وفي يمناه شعلة الفرقد ،واضحت نحور العجم بعد المنازلة غمدا للصوارم ، واصبحت دماؤهم تسقي ظمأ السيوف ، فلم ينج منهم غير الذي أقتيد أسيراً " كالغزال المقيد " فيقول :

سرى في مثار النقع بدراً تحفـــه ... نجوم وفي يمناه شعلة فرقـــــد
وما قال فأنعني اذا أنا لم أعـــــد ... وشقي علي الجيب يابنة معبـــد
فاغمد حلماً " لم يكن قط مغمـــداً " ... وجرد قهراًكان غير مجـــــــرد
ونادى مراد ان هذا مرادنـــــــــا ... وقال أمين يومنا يوم ســـؤدد[45]
فأضحت نحور العجم غمد صـــوارم ... وكل عنيف كالعمـــــــود المدد
ولما شكت أسيافهـــم حـــر ظمْئِها ... سقوها دماء من نحور واكبـــد
وقد علم العجم العرين محصنـــــاً ... بأسد كرام لا بصخر وقرمـــــد
فلم ينج منهم غير أمرد ناعـــــــم ... يقاد أسيراً كالغزال المقيد [46]

ومن الشعراء الذين مدحوا الوالي حسين باشا الجليلي ، قاسم محمد حسن الموصلي[47] ، الذي أزجى هو الآخر نعوتاً وصفات لاتخلو من المبالغة والغلو ، اذ اقترن مجيئه على حسب تعبيره بمجيء " نصر الله والفتح " ، فهو أبن الذين سادوا بمجد ورفعة ولم يلدوا الا انجابا ، كما في قوله:

لقد جاء نصر الله والفتح أمنا ... فسبح بحمد الله فاليمن يمنا

هو ابن الاولى سادوا بمجدٍ ورفعةٍ ولم يلدوا الا نجيباً ومحسنـــــاً
فأشباله في جبهة الدهر غـــرة وهم درر ياصاح في جيد عصرنا
أمينهم المأمون بعد سما العلى [48] أمير به عقد الامارة زينـــــا
وأكرم بذى الطبع السليم شقيقـــه وفي أوج برج السعدكل تمكنا[49]

ثم يعدد صفاته الحميدة فهو بشير ونذير وعادل وأمين على الامناء وخاذل الخائنين :

بشير نذير في الحكومة عادل يؤمن ذا أمن ويخـــذل خائنـــاً
فذو العرض في عيشٍ رغيدٍ بعصره ولازال يلقي الذل ذو البغي والعنا
فكم فاسق قد كان للشر ناشـــراً فأصبح فرداً بالعفافـــة دينـــا

ويثني الشاعر على الوالي المذكور ، ويعترف بعجزه عن تأدية واجب الثناء على أكمل وجه ،كما في قوله :

عليك ثنائي ماأستطعت فأننـــي لمعترف بالعجز عن واجب الثنا
ولم يبلغ المداح عشر مديحـــه ولو كان أقلام البسيطة السنـــا
وقد ملا الافاق معظم قـــدره فمن ذا الذي في وصفه يدرك المنى
فلا زال طير السعد يشدو بمدحه على فنن الاقبال في روضـــة الهنا[50]

الشكوى من الحياة

ان اضطراب الحالة السياسية وفقدان العدل والامن في العهد العثماني والذي كان نتيجة طبيعية للتعسف والاضطهاد اللذين تمارسهما السلطة العثمانية ، كل ذلك ولد حالة من الالم في نفوس الشعراء سرعان ماتحولت الى صرخة شاكية من الزمان وصرف الدهر ومكائد الحياة ، والتي لايمكن ان تفسر الا على أساس نقمة الشاعر على الواقع الاجتماعي ورفضه له ، وهو دون ريب انعكاس للواقع السياسي الذي كان سائداً يومذاك . فلم تكن للشعب قيمة تذكر وانما كان مهملا لا شأن له وليس الامر مقصوراً على الشعب العربي وانما كانت جميع شعوب الدولة العثمانية تتساوى في هذا الوضع الاجتماعي المتردي في طول البلاد وعرضها . واعتقد السلاطين بأنهم يحكمون بأسم الله تعالى ، وما على الشعب الا ان يطيع ولا يخالف ، فقيدت حرية الناس في التعبير عن رغباتهم المكبوتة ومنع التعبير عن هذه المفاسد فجرؤ الولاة والموظفون على الاستهتار بحقوق الشعب والانغماس في المفاسد [51]. وقد أتخذ الشعر العراقي في هذه الحقبة من

الحالة المشار اليها آنفاً منطلقاً لايقاض الشعور الوطني والدعوة لمقاومة الظلم والتعسف ، وقد كان الشاعر عبد الله الفخري أكثر الشعراء تلمساً لهذه الحالة ، اذ استغلها وأمثاله من العراقيين ممن لهم شأن في المجتمع للتعبير عن المه وشكواه ومن ذلك قوله شاكياً الى الله من مكائد الزمان وتناقضات الحياة :

الى الله أشكو من زمان يعانـــــد ... به كل ذي مجدٍ لهم يكابـــــــد
زمان به المغشوش يطلب نافقـــاً ... وكل نقي خالص فهو كامـــــد
ولا تعرف الشوهاء من ذات بهجة ... وسيان اجلالا سفيه وراشـــد
ورب اخٍ أخلصته الود والوفـــا ... تروم صلاحاً منه اذ هو فاســد
وخل من الناس أتخذت بطانـــة ... فاجداك تغريرا وبات يكابـــد
فياليت شعري هل حميم ساعـــف ... بأيامنا او هل صديق مساعد[52]

ثم يذكر متناقضات الحياة التي هي انعكاس للواقع السياسي فيصبح الشريف ذليلاً ، والوضيع ذا شأن ومنزلة في المجتمع ، فيقول :

وكم من شريف كيسٍ ذي فصاحـة ... ذليل ومحتاج مهان وفاقـــد
وكم من وضيع ماجن ذي مقالـب ... ويدرك شأوا هو في اللهو سامد
لحا الله من أرسى بموطن ذلـــه ... يشي فيه حساد ويقعد راصـــد
فهلا يسير الطالب النجح والعلى ... يسيح برحـب الدو وهـــو يجالد
يسير سراعاً ليلة مدلهمـــــة ... حليف سهاد والسوارى تطـــارد
كمياً ببتر السيف يعرض رمحه ... يقيه لبـوس سابـــغ وهو ناجـد
على سابح طرف دموك محجل ... وتحمل آمال وتنمو مقاصـــــد[53]

ويقول في قصيدة آخرى :

شر العصور زمان يستمد به ... خب لئيم غدا في الشر كالثمـــل
لايعلم الرشدمن غي وليس له ... سوى الشرارة في قول وفي عملٍ
لا در در الزمان بات محتكماً ... يعز كل خسيس السِنْخ مبتـــذل

ومنها :

أشكو الزمان وأهليه وأمقتهـــم ... اذ سوء أفعالهم أو في على القلل
ساءت سريرتهم حالت طريقتهم ... زاغت بصيرتهم عن أقوم السبل
علم بلا عمل حكم بلا حكـــم ... ظلم على عجل وعد على مهـــل

وصرخ الشاعر بوجه الدهر معرباً عن استيائه ، وهي دون شك تعبير عن لواعجه الداخلية جراء معاناته من أضطهاد الهيمنة العثمانية وتعسفها ، فيقول :

يادهر مالك والاحـــــرار تقهرهـــم تذل كل كريم الاصل مقتبـــل
حتى متى يازمان كنـــت تفعـــــل ما تشيب فيه النواصي غير محتفل
تؤخر الفاعل المرفـــوع تخفضـــه مقدماً لمفاعيل على البـــــدل
وساقة الجيش قد أضحت مقدمـــة مثل التليل غدا في مؤخر الكفـل
سئمت عيشي لما قد ناب من نوب[54] ومن حياتي فقد أصبحت في ملـل
ولست أحفل في ذا الدهر من أســـف أطال أيام عمري أو دنا أجلـــي [55]

وازاء هذه الحالة فأن الشاعر لايركن الى الضعف ، ولا يدب في نفسه اليأس ، بل يضع البديل المناسب كيما يستطيع من مواجهة المستعمر ، فيكون العلم والاخلاص في العمل السلاح الماضي في مقارعة الخصوم والمعتدين ، فيقول :

عليك بالعلم والاخلاص في العمـــل ولازم الخير في حل ومرتحـــــل
وجانب الشر وأعلم أن صاحبـــــه لابد يجزاه في سهل وفي جبـــــل
وأثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا تركن الى فشل في ساعة الوهـــل
وكن كرضوى لما يعروك من نوب ولا تكن جازعاً في الحادث الجلـــل
وأصبر على مضض الايام محتملاً ففيه قرع لباب النجح والامـــــل
تأنَّ متئـــداً فيمـــا تـــروم ولا تعجل وان خلق الانسان من عجـــل
لا تطلب العز في دار ولـــدت بها (والعز عند رسيم الانيق الذلل)[56]

الحنين الى الوطن

أضطر قسم من الشعراء الى ترك بلادهم ، والنزوح الى الاقطار المجاورة ، بسبب الاوضاع الاجتماعية والسياسية السيئة التي كانت نتيجة لتعسف الحكام العثمانيين وأضطهادهم للمخلصين من رعاياها ، وكان الشعراء وثيقي الصلة بتربة الوطن . فقد كانوا على أرتباط عميق بها على الرغم من أبتعادهم عنها ، فعبروا عن خلجات نفوسهم ، وما يعتريهم من مشاعر بقصائد جسدت اتجاهاً واضح المعالم في شعر هذه الحقبة هو الحنين الى الوطن ، وكان هذا الاتجاه ذا بعد سياسي بحت اذ أثار

الحس الوطني والقومي لدى الشعراء بعد أن ذاقوا مرارة الغربة والابتعاد عن مواطن العز والمجد والسؤود المتمثلة في بلاد العرب . وفي ذلك قال عثمان بن أبي الفضائل العمري [57]في الحنين الى العراق وقومه العرب :

ما هب ريح الصبا من صوب أرضكم ... الا أثار دموع العين كالسحـــــب
ولا شـــدا طائـــر الا وأرقنـــي ... وصير القلب من شوقي على لهـب
في الروم ان كنت سلطاناً فـلا أرب ... واحسرتا لديار العز فـي العـرب
عسى عسى ولعل الدهـر يجمعنـا ... بسادة مجدهم يعلو على القطـــب
أين العراق حبيبـي أيـن نضرتـه ... لولاه لولاه لم أجثم على لغب [58]

وقال الشيخ عبد الرحمن السويدي في قصيدة طويلة أرسلها من الشام الى بغداد معرباً عن عظيم أشتياقه اليها :

لولاك يابلد الزوراء لولاك ... ماأصدق القلب مني شجو شجـواك
سقى أديم الثرى منك الحيا وحيت ... سحب الكرائم في التكريم محيـــاك
وأخضر ربعك من دون الربيع ولا ... زالت زهورك في صيف ومشتـــاك
أقول للواكف المنهل من مقلـــي ... أكفف لتنجو من مجراه جرعـــاك
شتان مابين بغداد وجلق مـــع ... اقعاد حظي فحظي مدمع باكـــي
هيهات هيهات أن ينجاب لي أمل ... بـــه أعلـــل أمالـــي للقيـــاك
آه وآه فلا انهى التـــــأوه ما ... دام التفـــوه في بعـدي لمرماك [59]

وأعرب الشاعر بشارة الخاقاني عن شوقه لمسقط رأسه مدينة النجف الاشرف وهو في (بم) احدى قرى كرمان ، بعواطف صادقة لربوع صباه اوصلته الى حد التعامل وكأنها حبيبة على درجة كبيرة من الاخلاص ، فيقول :

أنور الشمس أم بدر الكمـــال ... تبدى أم سنا هنـــــد بدا لي
وبرق لاح أم ذا ثغر هنـــد ... تبسم عن أقـــــاح أو لآل
ومسك فاح أم هذا شـــذاها ... اتتني فيه أنفاس الشمـــال
نعم هند تبدت من خبـــاها ... تميس بحسن قَدٍّ واعتـــدال
بنور جبينها واللفظ تـــزرى ... لعمري بالغزالة والغـــزال
وعم جبينها بالحسن خـــال ... فدته النفس من عمٍّ وخـــال
سهام لحظاها تدمي فـــؤادي ... قبيل الجلد في السحر الحـــلال

لها حكم على العشاق حتمٌ — بسلطان الملاحة والجمـــــال
فان نالت يداي الوصل منها — بضرب البيض والسمر العوالي
والا فالغنى لي عن هواها — بسكان الغرى ذوي المعالي[60]

ثم يدعو بالخير لاهل الغرى ، وعلى الرغم من أنهم ابعدوه عن حماهم ، ويذكر ايام سعادته وهنائه ، فيقول :

رعـــى الله الغـرى وساكنيـه — وان افتوا ملالا بالنـوى لـي
لئـن هـم أبعدوني عن حماهم — فلست ودارهم يوماً بسالـي
أكـــرر ذكرهـم نظما " ونثرا " — فيحلو عند ذكرهم مقالـــي
ببـاب النهـر مـرت لـي ليال — حلا لي العيش في تلك الليالي
فكـم مـن ليلـة فيها جلسنا — مع الاحباب في روس الجبال
وكـم أيـام سعـد قـد تقضت — انا والقبة البيضا حيالـي
وكم في الروضة الخضرا سقينا — رياض الود من غيث الوصال [61]

وفي قصيدةٍ آخرى يشتاق الشاعر نفسه لمدينة النجف ، وهو ناءٍ عنها لانها تربة أمير المؤمنين ولا نظير لها بالمنزلة الا الحجاز ناهيك عن كونها تضم صحبه ورهطه واصحابه ، فيقول :

بـــلاد بها الرحمن أودع تربـــة — لحيدرة للمؤمنين أميـــر
لها شرف عال على كل بقعـــة — فليس لها الا الحجاز نظيـــر
بلاد بها صحبي ورهطي ومنزلـــي — اليها ركاب الزائرين تسيـــر
فما قط يحلو لي سواها وان حلـت — ولو زخرفت فيها لدي قصـور
أهيل الغرى قلبي به النار دائمـــاً — وبحر دمـــوع لايـزال يمـور
أهيل الغرى عيناي لاتألف الكـرى — فليس لها طعـم الرقـاد يـزور
أهيل الغرى ليلي طويل لبعدكـــم — وليلي لديكـــم بالغـرى قصيـر
أهيل الغرى أني اقول مضمنـــاً — فلم يبق لـي الا اللسـان نصيـر
(أسرب القطا هل من يعير جناحه — لعلي الى من قد هويـت أطيـــر)
فطار الى نحو الغرى ولم أطـــر — لان جناحـي بالفـراق كسيـــر[62]

ويناشدهم بأن لايقطعوا حبل الوصل ، لانه يمسي فقيراً بدونه وان لاينقضوا عهودهم لانه حافظ لها فعسى ان تجمع الايام الشمل بالقرب :

أهيل الغرى لاتقطعوا حبل ودكـم لاني اليه ياكـــــرام فقيـــر
أهيل الغرى ذا الدهر يوعد باللقـا وتحدث من بعد الامـور امور
فلا تنقضوا اهل الغرى عهودكـم واني على حفظ العهود صبور
عسى تجمع الايام شملي بقربكـم فأن الهي راحم وقديـــــر
عليكم سلام الله مني مسلســـلاً وان شئتموه ياكرام يدور[63]

اما السيد يحيى الاعرجي فقد عبر عن شوقه الى مسقط رأسه (الحلة) الفيحاء وهو في خراسان ذاكراً ايام صباه وليالي انسه ، فيقول :

سقى الرميلة والسعداء أمطـــار وجادها بالحيا الوسمي مـــدرار
وجررت للصبا فيه ذيـــول صبا وصافحتها بليل الذيل مطـــارُ
وان جفاها الحيا حيـــا مرابعها من دمع عيني هماء وهمـــارُ
لانس ليلاتنا اللاتي بها سلفـــت أيام تجمعنا والربرب الـــدار
ومربع الانس زاه والشباب نـــد غض المعاطف والاعصار اعصار
والشمل مشتمل والدار جامعـــة والدهر يقضي بما نهوى ونختـار
ياسعد ان جزت بالسعداء واتضحـت من جانب الحي اعلام وانكـــار
ولاح ظل النخيل الباسقات ضحـــى وفاح من روضه المسكي اعطار

.....

فاحبس بها الركب وابدأ بالسلام وقل ياجيرة الحي هل يرعى لكم جار
مابالكم قد نقضتم عهد ذى مقـــة لم يثنه عنكم صد واضـــرار
اوريتم في حشاء نار هجركـــم حتى غدت من حشاه تقبس النار

ويتشوق جرجيس درويش الموصلي [64] الى وطنه ويتذكر مرابع انسه وملذات صباه وهو في غربته ، فيقول :

تاق الغريب لعـودة وايـــاب وصبا لجمع الشمل بالاحبـــاب
وغدا يحن الى اللقـاء تشوقـاً لقديم انس محاضر الاصحـــاب
من كل مطبوع الخصال مهـــذب اهل الوفـــاء معـــادن الآداب
كرر على سمعي اخي حديـث اخ وان الصبا لا زينـــب وربـــاب
يالائمي لتشوقي تلـــك الربـــا عني وخفض عنك مابـــك مابـي
لو ذقت حلو الجمع بعد مرارة ال التفريق يوماً لم تفـــه بعقـــاب

اني أمرؤ والله ماذكر الحمـــى الا واسكرني بغيـــر شرابـــي

ثم يقول معرباً عن حنينه لبلدته الموصل الحدباء :

ان كنت للحدباء تعزم راشـــداً مهلاً فذاك من الزمان مآبي
لم اتخذ بلداً بها بـــــدلاً ولا أسلو عهود صبوتي وشبابي
شرفي بها وبأهلها اذ لـم أزل ما بينهم ابداً عزيز جنـــاب
حتى أحمل حمل راحلـــة بها القى وجوه أحبتي الانجاب(65)

ونظم عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري أرجوزة في الحنين الى الوطن ، وهو في " قاغزمان " من بلاد الروم يقول في مطلعها :

أيها الساقي لقد نـام الرقيـب قم فأن الوقت خال بالرقيب (66)
قم فلا واشي لدينا وهـــذول أنا والبدر فلا تخشى الافول
قم ليزهو الناد من شمس العقار ان في العقل لطيشاً وخمار (67)

وبعد دعوته لشرب الصهباء وتقبيل الحبيب ، يتوق لنغمات العراق ، ومواصلة الاحبة ، وأحاديث الوطن ، فيقول :

وأعد بالله نغمـــات العـراق ان بعد الدار مما لايطـــاق
آه من بعد الاحبة والديـــار أورثت للقلب احراقاً بنـــار
أضرمت والله جمراً في الفؤاد آه من جور التنائي والبعـــاد
واذكرن حادى أحاديث الوطن ان بعد الحي من أوفـى المحـن
وتفنن لي بصوت في الحزين ان قلبي عند أحبابـي رهيـن(68)

وثمة شواهد آخرى في الحنين الى الوطن لانجد مسوغاً لذكرها وما سقناه كاف لتوضيح أتجاهات هذا الغرض الشعري الذي كان سائداً في هذا العصر .

شعر الوقائع الحربية

كان للصراع الحاد بين الدولتين الصفوبة الايرانية والعثمانية ، وما تمخض عنه من حروب سجال بين الطرفين ، وقيام نادر شاه بحملاته المعروفة لاحتلال العراق وحصاره لمدنه الكبرى كبغداد والموصل والبصرة ، أثر كبير في شعر هذه الحقبة .

لقد كانت حوادث الحصار من العوامل الكبيرة في اذكاء الحس العربي والشعور القومي لدى العراقيين ، وجعلهم يشعرون بقوتهم اذا ماتكاتفوا وتوحدت كلمتهم بوجه الغزاة . فنظم الشعراء القصائد في تسجيل المآثر البطولية للمدافعين عن حياض وطنهم ،

والاشادة بدور الولاة الذين قادوا الجيش ووحدوا الصفوف لمواجهة العدوان الخارجي . وتجسد هذا الاتجاه في شعر مدح الولاة وبخاصة والي بغداد أحمد باشا ووالي الموصل حسين باشا الجليلي.

وآثر بعض الشعراء تسجيل وقائع هذه الحروب على وفق تسلسل تاريخي ، فذكروا سنة الحصار، وعدد الجيش الغازي ، وعدد المدافعين من أبناء المدينة ، ثم صوّروا مادار من أحداث بين الجانبين الى غير ذلك .

لقد أتخذ هؤلاء الشعراء الارجوزة مادة لبناء قصائدهم ويبدو ان سبب اتخاذهم الارجوزة يرجع الى كونها ذات ايقاع سريع ، وقافية مختلفة .وهاتان السمتان تساعدان على سرعة حفظها وهذا يعني

توفير مستلزمات ذيوعها وانتشارها بين العامة ، وأتخاذها كالمنشور السياسي الذي يثير المشاعر ويزيد الهم ، فضلاً عن ذلك فأن " الرجز " اتخذ قديماً دون غيره من البحور الشعرية لشعر الحرب والمعارك ، ينشد على لسان الشعراء الفرسان بمقاطع شعرية قصيرة قبل دخولهم لساحات الوغى .

أما الاراجيز التي قيلت في تسجيل وقائع هذه الحقبة فهي على وفق الشكل الآتي:

1-أرجوزة خليل البصير [69]، وعدد أبياتها تسعة وستون بيتاً أرسلها من الموصل الى عبد الله الفخرى كاتب الديوان ببغداد [70] .

2-أرجوزة عبد الله الفخرى [71] أرسلها من بغداد الى خليل البصير جواباً على ارجوزته واصفاً بها حصار الموصل وعدد أبياتها مائتان واربعة وعشرون بيتاً ، مطلعها :

الحمد لله العزيز الغالـــــبِ ... الناصرِ الممدِّ ذي المواهـــــبِ
المانحِ الجزل العميمِ الطــولِ ... الدافعِ الضرَّ الشديدِ الحْـــــولِ[72]
تبارك الله تعالى شأنـــــــه ... وعزَّ جاراً ، وعلا سلطانـــــه
سبحانُه يفعلُ مايشـــــــاءُ ... هيهات ان يحصى له ثنـــــاءُ
هو اللطيفُ بالبرايا سرمــدا ... حاشاه ان يترك امَرهُم سدى[73]
يخص بالرحمةِ من عبــادهِ ... من شاءَ فضلاً منه في اسعادِه[74]
ثم من الصلاةِ ما قد كمَــلا ... على نبي السيف سيد المَـــلا[75]
الهاشميِّ هازمِ الاحـــزابِ ... (محمدٍ) مقَسِّمِ الاســـــلابِ[76]
وآلهِ فرسانِ مضمارِ الوغى ... وصَحبِهِ سُبق حلبةِ الهـــــدى

3-ارجوزة عبد الرحمن السويدي [77] عارض بها ارجوزة البصير ، مشتملة على حكاية حوادث حصار جيوش نادر شاه لبغداد ، واستبسال الوالي والبغداديين في قتالهم ، وعدد أبياتهم مائة وخمسة وستون بيتاً مطلعها:

الحمدُ لله المُعـــــزِ الخافـــضِ ... اذ بات ذو التقوى بعيشٍ خافضِ
المؤمنِ المُهَيمِـــــــن الستَّتـــارِ ... والملِـــكِ المقتـــدرِ القَهـــارِ
احْمَدُه ، وهو حَـــرٍ بكـــلِ مـــا ... يحمدُه العبـد علـــى ما انعمـــا[78]
فهو الذي انقذنا من كلِ شَـــــرٍ ... ومن ظَلومٍ بأسُـــه قـد انتشـر
ثمَّ الصلاةُ والسلامُ الاسمـــــى ... على الذي عليه ربـــي أثنـــى[79]
من العطايا قد غدا محبـــــوراً ... من ربهِ ، وبالصَّبـا منصـــوراً[80]
كذاك بالرُّعب اذا الخطبُ هجـــمْ ... وعِثير الوغى علا ثـــم ازدحمْ[81]
(محمدٍ) ذي المكرماتِ والوفـــا ... وآلِهِ المستكمليـــــن الشّرفـــا
وصحبِهِ الذين فضلُهـــم اتـــى ... في النظم والنثر الصحيح مُثبتـــا

4- أرجوزة فتح الله القادري [82] ، جاءت في وصف دفاع أهل الموصل عن مدينتهم ضد هجوم نادر شاه وهي أطول الاراجيز التي وقفنا عليها خلال هذه الحقبة ، وعدد أبياتها اربعمائة وثمانية وخمسون بيتاً مطلعها :

أحمـــد الله خالقـــي معينـــي ... في كل وقتٍ ، بل وكل حيـــن
والشكـــر فـــي كـــل أوان ونفـــس ... صبحاً مساء وعشاء وغلـــس
أثنـــــي عليـــه لـــزوال النقمـــة ... اذ بَدَّلَ العسر بيسر النعمـــــة
ثـــم صـــلاة الله تغشـــى أحمـــدا ... محمد الهادى النبي الاوحـــدا
فأنـــــــه زبـــدة خلـــف الله ... وانـــــــه درة كـــون الله

وسنتناول ارجوزة خليل البصير بالعرض والتحليل لنقف على أ نموذج واحد من هذه الاراجيز ، ويعود سبب اختيارنا ارجوزة البصير من غيرها ، كونها قد نظمت أسبق من مثيلاتها ، وان أغلب ما وصل الينا من اراجيز نظمت جواباً عليها او معارضة لها .

تبدأ الارجوزة بحمد الله ﷻ ، والثناء عليه ثم الصلاة والسلام على محمد ﷺ وصحبه :

الحمدُ لله الســـلامِ المؤمـــنِ ... الملكِ المقتدرِ المهيمـــــنِ
وهو الذي أيدنـــا بنصـــرِهِ ... على العدو منقذاً من حَصرهِ

ثم الصلاةُ [83]والسلامُ الدائـــمُ ... على الذي حلت له الغنائـــمُ
مؤيد الحقِّ نبي الملحمـــــة ... (محمدٍ) الماحي ظلامَ المظلمة
وهو الذي أباد جيشَ الكفـــرِ ... قلـده المولى بسيف النصـــرِ
والآل والصحب الذين جاهـدوا ... في الله ، والجمالَ منه شاهدوا
من أُسرحَ الدُّهمُ ، وجالُ الغُـرُّ ... وجرد البيضُ ، ومالَ السمرُ[84]

وبعد هذا الاستهلال ، يبدأ بمدح عبد الله الفخري كاتب الديوان ببغداد ، واحد شعراء هذا العصر ثم يسأله عن طباعه وحاله ، ويعبر عن أشتياقه له :

وبعد ، فالانمى مـن الســـــلامِ ... يهدى الى آبن سيدِ الانـــامِ
الفاضلِ المحقـــــق العلامـــة ... والكامل المدقق الفهامـــــة
أخي ومؤنســـــي بلا اشتبـــاه ... السيدِ النحريرِ : (عبد الله)[85]
لازال خافضـــا" اولـــي الضَّلال ... بِنَصبهِ الويَة الكَمـــــال
يامـن هـــداه الله للفواضـــلِ ... وَخَصَّهُ بالعلم والفضائـــلِ
وحفَّه بالرُّشـــــدِ والكياســـه ... والفهم والفطنة والفِراســـة
كيفَ طباعُكُم ؟ ومـــا حالاتكم ؟ ... بأي شيء تنقضي اوقاتكـم؟
اني الى حِماكُـــــمْ مشتـــاقُ ... انحلني الفِراقُ والاشـــواقُ
بحيثُ لو قُسِم عرْضُ الشـــعرةِ ... عشرة أقسام ، حكتـــــه
دقتي والله اسألُ الملاقاة التـــي ... تشفي من الغرامِ كلَ علتي

ثم يقول :

فان تجيزوا الفَصحَ عن حال البلدِ ... ومامن الشدةِ والضيق وَجَـــد
فالحمـدُ لله مُعيـــنِ الضُّعَـفـــا ... مُفرجِ الكَرْبِ، مُعَجلِ الشَّفـــا
علـــى انكشـــافِ الضُّـــر والالامِ ... وصَونِ عِرْضِنا من الاعجـامِ[86]
اذ دخلـــوا القـرى وافسـدوها ... آذوا ، ومزّقوا ، وشـــرَّدوها
واستهلكـــوا الشُّبـــان والفتيانا ... واستاسروا النّسوانَ والصبيانا
وغادروا الشيـــوخَ والاطفـــالا ... وحملوا الاحمالَ والاثـقـــالا

ويصف عملية الحصار ، فيذكر عدد الجيش الغازي ، وكيف أنهم امطروا عليهم وابلاً من النار ليل نهار ، حتى دب الجوع والعطش بين صفوفهم :

ثم توجهـــوا ليحصرونـــــا ... ويستفزونـــا ويكســـــرونـــا
جاؤا (كأنهم جراد منتشر)[87] ... فحاصروا (في يومٍ نحسٍ مستمر)
اخبرنا مفتيهم [88] ان الفئـــة ... خمس وسبعـون تليهمـــا مائـــة
وانمـــا تمييـــز ذا الاعـــداد ... الـــف بـــلا نقـــصٍ ولا ازديـــــادِ
دنوا فامطـــروا علينـــا نـــــاراَ ... لم يهجعـــوا ليـــلاً ولا نهـــــــاراَ
واصبعا كلٍ مـــــن الخلائـــــق ... فـــي أُذنيْـــهِ حَـــذَرَ الصَّواعـــق
فبانَ بيننـــــا سمـــــاتُ القحـــطِ ... حتـــى حُرمنـــا شُـــرْبَ مـــاءِ السَّطِّ
وكَلُّنـــــا نرتقـــبُ القتـــــالا ... ممثـــلا بقولـــــهِ تعالـــــــى
(ياأيها الذين آمنـــوا اصبـــروا ... وصابروا ورابِطوا) [89]لتُنصَروا

ثم يذكر تاريخ هجوم الغزاة ، والطرق التي اتبعوها في الهجوم ومالاقوه من آذى ازاء شجاعة وثبات المدافعين .

وبعد ثبات أهل الموصل واستبسالهم في الدفاع عن مدينتهم كبدوا الغزاة خسائر كبيرة ، الامر الذي جعل نادر شاه يشعر بأن لاجدوى من بقاء قواته ، فارسل الى والي الموصل حسين باشا طالباً

الصلح ، بعد ان وضع شرطاً(سخيفاً) لهذا الصلح وهو ان يؤتى له بعشرة خيول .

ويشيد بصبر والي الموصل وجلده على الرغم من كثرة الجيش الغازي ، ثم يصف حال نادر شاه بعد ان باءت جميع محاولاته لاحتلال الموصل بالفشل ، وعاد يجر أذيال الخيبة والهزيمة قبل ابرام معاهدة الصلح .

وختم خليل البصير ارجوزته ، بمثل مابدأها بالشكر الجزيل لله عز وجل ، وبالصلاة على الرسول الكريم محمد ﷺ وعلى آله وصحبه .

وأرى ان قيمة هذه الارجوزة لاتكمن في قيمتها الفنية ، وأنما في اهميتها التاريخية التي سجلت

لنا وقائع حصار نادر شاه لمدينة الموصل وثبات الموصليين في مقاومة الغزاة ، وحفظت لنا وقائع

هذا الحصار نظماً ، بحيث يمكن ان تضاف الى جملة الكتب التاريخية التي سجلت احداث هذا الحصار .

الهوامش

(1) ينظر : أدب الدول المتتابعة عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ، للدكتور عمر موسى باشا .

(2) تابخ آداب العربية ، جورجي زيدان ، 4 / 293 .

وينظر : تاريخ الادب العربي ، حنا فاغوري ، ط 3 ، ص 862 .

(3)الادب المصري في ظل الحكم العثماني ، محمد سعيد كيلاني ، ط 1 ، ص 3 .

(4)مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، للدكتور بكري شيخ أمين ، ط 2 ، ص 5 .

(5)نفسه : 6 .

(6)نفسه : 9 .

(7)الادب العربي في آثار الدارسين ، لمجموعة باحثين . بحث الدكتور شكري فيصل " الادب العربي من سقوط بغداد حتى اوائل النهضة " ط 1 ، ص 291 .

والشاهد قول جرير :

تمرون الديارَ ولم تعوجوا كلامكم عليَّ اذاً حرامُ

(8) أدب العراق في العهد العثماني .للدكتور علي أحمد الزبيدي ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ، ع السادس والعشرون ، حزيران 1979 ، ص 493 .

(9) نفسه : 501 .

(*) ولد حوالي 1068هـ – 1657 م ، وتوفي سنة 1135 هـ – 1753 م. وثمة اختلاف في تحديد سنة توليته بغداد . فذهب البعض الى انها كانت سنة 1117 هـ – 1705 م بينما يرى آخرون انها كانت سنة 1114 ه – 1702 م . (ينظر : غاية المرام 177 ، وتاريخ العراق بين احتلالين 5 / 161 ، وكلشن خلفا لنظمي زادة مرتضى 317 ، وحديقة الزوراء في سيرة الوزراء 1 / 17، واربعة قرون من تاريخ العراق الحديث 120 ، وقرة العينين في تراجم الحسن والحسين مخطوطة المجمع العلمي العراقي ص 14) .

(**) اسندت ولاية بغداد اليه سنة 1136 هـ – 1723 م وبقي حتى وفاته في 1160 هـ – 1747 م. أخباره في : دوحة الوزراء ، وحديقة الزوراء ، ومرآة الزوراء في أخبار الوزراء ، وحروب الايرانيين في العراق ، وغاية المرام ، والدرر المكنون ، واربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، وتاريخ العراق بين احتلالين .

(10) ينظر : لسان العرب والقاموس المحيط : مادة سوس .

(11) لمعرفة معنى السياسة عند الباحثين القدامى ، انظر رسائل اخوان الصفا 1 / 207 .

(12) تاريخ الشعر السياسي ، أحمد الشايب ، 3 .

(13)المصدر السابق ، 4 .

(14) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر 122 .

(15) ينظر : الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ، عبد الكريم توفيق العبود ، 73 – 74 .

(16) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر : 125 .

(17) ينظر : الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، الدكتور يوسف عز الدين ، 43 .

(18) من أشهر شعراء الموصل في عصره ، ولد بالموصل في حدود 1100 هـ وتوفي ببغداد سنة 1157 هـ / 1744 م له ديوان شعر مطبوع ، حققه ونشره مع ترجمة وافية لصاحب الديوان محمد صديق الجليلي سنة 1966 م .

(19) ينظر : الديوان ، 32 .

(20) الديوان ، 26 .

(21) ينظر : مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، 86 .

(22) ديوان حسن عبد الباقي الموصلي ، 27 .

(23) نفسه : 27 .

(24) توفي سنة 1161 هـ .

ترجمته في : شمامة العنبر 9 ، منهل الاولياء 1 / 226 ، الروى الفقر 1 / 185 ، منهج التقات (مخطوط) ، الدر المكنون (مخطوط) تاريخ الموصل 2 / 203 .

(25) شمامة العنبر ، 101 .

(26) المقصود بالاعراب : العشائر العراقية الثائرة .

(27) هو سليمان باشا مملوك احمد باشا .

(28) شمامة العنبر ، 102 .

(29) اللهذم : هو القاطع من السيوف .

(30)المِغْذَمِ من السيوف : القاطع .

(31) شمامة العنبر ، 122 .

(32) شمامة العنبر ، 123 .

(33) أبو حسن : هو الوالي حسين باشا ، وحسن أصغر أبنائه .

(34) لعله جذيمة بن مالك بن غشم التنوخي ثالث ملوك الحيرة ، وكان يقال له الوضاح والابرش ، توفي سنة 356 ق.هـ ، أو لعله جذيمة ابن مالك بن نصر من بني أسد. (أنظر: سبائك الذهب، 58 واللباب، 216/1).

(35) في الاصل : فنى ، والصحيح ماأثبتاه .

(36) مراد أكبر ابنائه .
(37) ينظر : منهل الاولياء ، 1/ 297 ، قرة العينين (مخطوط) .
(38) الديوان ، 40 .
(39) ينظر : الديوان ، 43 وما بعدها .
(40) في الديوان : الكم .
(41) سباسب : مفردها سَبْسَبْ وهي المفازة .
(42) الفَدْفَدْ : المكان المرتفع ، الفلاة .
(43) قَتَام الخيل : غباره الاسود .
(44) في الديوان : غلايل ، وخرد : اللؤلؤة لم تثقب .
(45) سِجف الهودج : ستره .
(46) مراد أكبر أبناء حسين باشا ، ويليه أمين .
(47) الديوان ، 41–42 .
(48) توفي سنة 1170 هـ . ترجمته في : شمامة العنبر ، 266 ، منهل الاولياء ، 1/ 308 . الروض النضر، 2/ 420 . تاريخ الموصل ، 2/ 201 .
(49) يريد أمين بن حسين باشا .
(50) يريد سليم بن حسين باشا .
(51) شمامة العنبر ، 268 – 269 .
(52) شمامة العنبر ، 124 .
(53) في الاصل : "عيشتي " وبها لايستقيم الوزن ، والصحيح ما أثبتناه .
(54) مجموع (مخطوط) في المكتبة المركزية العامة في الموصل برقم سعيد 1060 ، ص 59 – 60.
(55) المصدر السابق 57 .
(56) ولد سنة 1134 هـ وتوفي سنة 1184 هـ (1770 م) . ترجمته في : شمامة العنبر ، 84 . الروض النضر، 1/ 8 –22 ، غاية المرام 343 ، سلك الدرر 3 / 164 ، الدر المكنون ترجمته في : حوادث سنة 1184 هـ العلم السامي 267 ، تاريخ الموصل 2/ 181 ، تاريخ الادب العربي في العراق 275/2 لغة العرب السنة الثالثة 1913 ، ص 22 .
(57) شمامة العنبر ، 97 .
(58) المسك الاذكر ، محمود شكري الالوسي ، 1/ 68 .
(59) شعراء الغرى ، 1/ 435 .
(60) المصدر السابق 1 / 436 .

(61) المصدر السابق ، 1/ 439 .

(62) المصدر السابق ، 1/ 440 .

(63) شعراء الحلة ، 5/ 452 – 453 .

(64) توفي سنة 1140 هـ . ترجمته في : منهل الاولياء ، 1/ 295 . سلك الدرر 7/3 . الروض النضر ، 178/3 . شمامة العنبر ، 305 .تاريخ الموصل 140/2 . الحجة لزاد على بن حجة 97 ، الدر المكنون في حوادث سنة اربعين ومائة والف .

(65) الروض النضر ، 2/ 211 .

(66) هذه الارجوزة مليئة بالاخطاء اللغوية والنحوية ولا يستقيم الوزن الا بها وقد تركنا الاشارة اليها لانها لاتخفى على القارىء اللبيب

(67) الروض النضر ، 2 / 220 .

(68) المصدر السابق ، 2 / 220 .

(69) نشرها سعيد الديوه جي في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثالث عشر (1385 هـ – 1966 م) ، ص 247 . وينظر ايضاً : ذرائع الصعوبات العنصرية في اثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان ، محمد بهجة الاثري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1981 م ص 116 ، ومجلة افاق عربية ، (نيسان 1981) .

(70) ذكر سعيد الديوه جي ان لخليل البصير فضلاً عن هذه الارجوزة ارجوزة اخرى ذكرها المحبي، ومطلعها :

كفى الله أهل الموصل الشر اذ آتى عدو لهم من جانب الشرق ناهض

وهذه قصيدة ، وليست ارجوزة ، كما ذكر له ارجوزة باللغة التركية (ينظر: المصدر السابق، 259).

(71) ينظر :الروض النضر ، 1 / 202 ، وذرائع (14 ومجلة آفاق عربية 1981) .

(72) العميم : التام ، الطول ، بفتح السكون : الفضل والغنى ، الحول : القوة .

(73) ووردت " في الجرايا " .

(74) ووردت " يختص " .

(75) الملا : الملأ ، وهو الجماعة .

(76) هازم : متسم : .

(77) ذرائع ، 175 . وقد نسب ناشر هذه الارجوزة في مجلة المجمع العلمي العراقي (م 13 / ص 252) الى أبيه أبي البركات عبد الله السويدي ، واقتضب له ترجمة من (المسك الاذفر) أراد ان يوثق بها عزو الارجوزة له وهو خطأ .

(78) حر : خليق وجدير

(79) الاثنى : الارفع .

(80) المحبور : المسرور المنعم ، الصَّبا: الريح تقابل الدبور .

(81) العنبر : الغبار .

(82) حققها ونشرها سعيد الديوه جي تحت عنوان ملحمة الموصل . مطبعة اسعد ، بغداد ، (بدون تاريخ) .

(83) رسمت في الذرائع " الصلوة " برسم المصحف الشريف .

(84) الدهم : الخيول الدهم ، أي السود . الغر : جمع الاغر ، وهو الشريف والسيد ، البيض : السيوف . السمر : الرماح .

(85) هو عبد الله الفخري كاتب الديوان ببغداد .

(86) في الاصل : عن الاعجام .

(87) القمر : 7 .

(88) القمر : 19 .

(89) في الاصل : مفتيهموا ، وهو (ملا باشي علي أكبر) وقد أرسل بعد اخضاع كركوك واربيل رسلا الى الموصل ، ينصح ان تفتح له الابواب ويخرج الناس اليه طائعين .

(90) آل عمران : 200 .

مصادر البحث ومراجعه

- أدب الدول المتتابعة عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ، د. عمر موسى باشا ، دار الفكر الحديث ، ط 1 ، لبنان ، 1386 هـ – 1967 م .
- أدب العراق في العهد العثماني ، د. علي أحمد الزبيدي ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد ، ع: السادس والعشرون ، حزيران ، 1979 .
- الادب العربي في آثار الدارسين ، لمجموعة باحثين ، ط 1 ، بيروت ، 1961 م .
- الادب العربي في ظل الحكم العثماني ، محمد سعيد كيلاني ، ط 1 ، القاهرة ، 1965م.
- أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ستيفن همسلي لونكريك ، تعريب جعفر الخياط ، ط 5 ، مكتبة التحرير ، بغداد (د. ت) .
- أرجوزة خليل البصير ، نشرها سعيد الديوه جي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثالث عشر (1385 هـ – 1966 م) .
- تاريخ آداب العربية ، جورجي زيدان ، ج 4 ، دار الهلال ، القاهرة ، د . ت .
- تاريخ الادب العربي ، حنا فاخوري ، ط 3 ، المط البوليسية ، 1960 م .
- تاريخ الادب العربي في العراق ، عباس العزاوي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ج 2 ، 1382 هـ – 1962 م .
- تاريخ الشعر السياسي ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 2 ، 1962 م .
- تاريخ العراق بين أحتلالين ، عباس العزاوي ، ج 5 ، بغداد ، مط شركة التجارة والطباعة المحدودة ، 1953 م .
- تاريخ الموصل ، سليمان الصائغ ، ج 1 ، القاهرة ، مط السلفية ، 1923 م ، ج 2 ، بيروت ، المط الكاثوليكية ، 1928 م .
- الحجة فيمن زاد على ابن حجة ، عثمان الجليلي ، أعتنى بنشره وطبعه الدكتور محمد صديق الجليلي ، مط أم الربيعين ، الموصل ، 1356 هـ – 1937 م .
- حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ، عبد الرحمن السويدي ، تح الدكتور صفاء خلوصي.
- حروب الايرانيين في العراق ، كتاب أخبار الوزيرين احمد باشا ووالده حسن باشا ، سليمان فائق بك ، عرّبه محمد خلوصي الناصري ، مخطوطة في خزانة الدكتور

نبيل محمد سلمان ، مصوّرة عن مخطوطة المجمع العلمي العراقي برقم 22 / تراجم وسير .
- دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، الشيخ رسول الكركوكلي ، نقله عن التركية موسى كاظم نورس ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- ديوان حسن عبد الباقي الموصلي ، حققه ونشره محمد صديق الجليلي ، مط الجمهورية، الموصل ، 1386 هـ – 1966 م .
- ذرائع العصبيات العنصرية في اثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان ، محمد بهجة الاثري ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، 1981م .
- الروض النضر في ترجمة أدباء العصر ، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري ، تح الدكتور سليم النعيمي ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ج 1 : 1394 هـ– 1974 م ، الجزءان الثاني والثالث : 1395 هـ – 1975 م .
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، محمد خليل المرادي ، القاهرة (د. ت) .
- الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، ابراهيم الوائلي ، مط المعارف ، بغداد ، ط 2 ، 1398 هـ – 1978 م .
- الشعر العراقي ، أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، د. يوسف عز الدين ، دار المعارف بمصر (د . ت) .
- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ، منشورات وزارة الاعلام العراقية، بغداد ، 1976 م .
- شعراء الحلّة ، علي الخاقاني ، المط الحيدرية ، النجف ، 1951– 1953 م .
- شعراء الغري ، علي الخاقاني ، المط الحيدرية ، النجف ، 1954 م .
- صفحة منسية في تاريخ نادر شاه ، فرنسيس صائغيان ، بحث منشور في مجلة (لغة العرب) ج 5 ، السنة السادسة ، مارس ، 1929 .
- القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، لبنان ، ط 2 ، 1424 ه – 2003 م .
- قرة العينين في تراجم الحسن والحسين ، ياسين خير الله العمري ، مخطوطة في خزانة الدكتور نبيل محمد سلمان . مصورة عن مخطوطة المجمع العلمي العراقي .

- كلشن خلفا ، نظمي زادة مرتضى ، نقله الى العربية موسى كاظم نورس ، النجف ، 1971 م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، مط دار صادر ، بيروت ، 1968 .
- مرآة الزوراء في اخبار الوزراء او (تاريخ بغداد) ، سليمان فائق بك ، نقله الى العربية موسى كاظم نورس ، بغداد ، 1962 ،
- المسك الاذفر ، محمود شكري الآلوسي ، مط الآداب ، بغداد ، 1930 م .
- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، د. بكري شيخ أمين ، ط 2 ، بيروت ، 1979 .
- ملحمة الموصل ، فتح الله القادري الموصلي ، حققها وعلق عليها سعيد الديوه جي ، مط أسعد ، بغداد (د. ت) .
- منهج الثقات في تاريخ القضاة ، ياسين خير الله العمري (مخطوط) . نسخة مصورة في خزانتي . عن نسخة الدكتور محمد صديق الخليلي .
-منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، محمد امين العمري ، حققه ونشره سعيدالديوه جي ، ج 1 (1386 ه – 1967 م) ، ج 2 (1388 ه – 1968 م) مط الجمهورية ، الموصل .